



# الدرس الرهيب

بقلم : عبد الحميد عبد المقصود

بريشة : عبد الشافي سيد



الناشر  
المؤسسة العربية الحديثة

الطبع والنشر والتوزيع  
بغداد - العراق - 1990  
الطبعة الأولى

رَحَلَ ارْتُوبُ الْعَجِيبُ لِفَتْرَةٍ فِي سَفَرٍ طَوِيلٍ ، طَافَ خِلَالَهُ  
الْقَرْىَ ، وَالْبُلْدَانَ الْبَعِيدَةَ ..

وَعَلِمَ تَعْلُوبٌ بِذَلِكَ ، فَعَرَفَ أَنَّ الْجَوْ قَدْ خَلَا لَهُ ، فَاخَذَ يَصُولُ  
وَيَجُولُ عَلَى هَوَاهُ ، طَالَمَا أَنَّهُ لَا يَوْجَدُ مَنْ يَتَصَدَّى لَهُ وَيُوقِفُهُ عِنْدَ  
حَدِّهِ ، حَتَّى تَخُولَ فَجَاءَهُ إِلَى طَاغِيَةِ جَبَّارٍ ، فَرَضَ الرُّعْبَ عَلَى أَهْلِ  
قَرْيَتِهِ وَالْقَرْىَ الْمَجَاوِرَةَ .. فَلَمْ يَدَعْ شَخْصًا إِلَّا ضَرْبَهُ أَوْ أَهَانَهُ  
وَكَاأَنَّهُ وَحْشٌ كَالسِّبْرِ ..





وضجَ الجميعُ بالشُّكوى من تصرُّفاتِ تغلوب ، ولكنَّ  
أحدًا لم يستطع أن يردَّعه ..  
وأخيرًا عادَ أرنوبُ من رحلته الطويلة ، فعلمَ بما فعله  
تغلوب في أثناء غيابه ، وقرَّرَ أن يلقَّنه درسًا لا ينساه  
أبدًا ؛ ليكونَ عِبرةً لمن تُسَوَّلُ له نفسه أن يحدِّثَ حدوة ..  
وسمعَ تغلوبُ بأن أرنوبًا قد عادَ من سفره ، وأنه  
يتحدَّاهُ فلم يعبأ بذلك ..





بل سخر منه قائلاً :

- ومن يكون هذا الصُعْلُوكُ ، حتى يتجرأ على أن يتحدائي ؟  
لو تسامحتُ معه اليوم ، فلن يتورع عن دس يده في جيبى  
غداً ، ولن يتورع عن دس أنفه في كل كبيرة وصغيرة من  
شئون حياتى .. أنا الآن سيد القرية ، بلا منازع ، ولن أسمح  
لهذا الصُعْلُوكِ بأن يهز هذه الصورة التى رسمتها فى أعين  
الجميع فى أثناء غيابه ..



وظلَّ تغلوبُ يَهْدِي بِهَذَا الْكَلَامِ ، حَتَّى أَرْسَلَ أَرْنُوبُ  
مَنْ يُخْبِرُهُ بِأَنَّهُ يَنْتَظِرُهُ عِنْدَ الْمَرْعَةِ ، فَصَاحَ تَغْلُوبُ  
- أَسْرَجُوا لِي حِصَانِي فَوْرًا ، لِأَرِيكُمْ مَنْ يَكُونُ أَرْنُوبُ هَذَا ،  
سَوْفَ أَعُودُ بِهِ مَتْرُوعَ الْغُرُوعِ كَالْأَرْنبِ الْمَسْلُوحِ ..  
وَمَا أَنْ أَسْرَجَ الْخَدَمَ لَهُ حِصَانَهُ ، حَتَّى طَارَ بِهِ عَلَى وَجْهِ  
السَّيْرَةِ إِلَى الْمَرْعَةِ ، لَكِنَّهُ لَمْ يَجِدْ أَرْنُوبًا فِي انْتِظَارِهِ ،  
فَسَالَ الرُّعَاةَ عَنْهُ ، فَقَالُوا لَهُ : إِنَّهُ كَانَ هُنَا وَرَحَلَ إِلَى النَّهْرِ





وطَارَ تَعْلُوبٌ بِحِصَانِهِ ، حَتَّى وَصَلَ إِلَى النَّهْرِ ، لَكِنَّهُ لَمْ  
يَجِدْ أَرْنُوبًا ، بَلْ وَجَدَ بَدَلًا مِنْهُ سَيِّدَةً عَجُوزًا مَحْنِيَّةَ الظَّهْرِ ،  
وَهِيَ تُنْسِكُ فِي يَدِهَا مِغْرَلًا وَتَغْرِزُ صُوفًا ، فَسَالَهَا تَعْلُوبُ :  
- أَيُّهَا الْعَجُوزُ الْفَانِيَّةُ ، يَأْمَنُ تَغْرِزِينَ الصُّوفَ ، أَلَمْ يَمُرَّ  
عَلَيْكَ أَرْنُوبٌ مِنْ هُنَا ؟!

فَهَزَّتِ الْعَجُوزُ رَأْسَهَا ، وَقَالَتْ :  
- سَمِعِي ثَقِيلٌ يَا بَنِيَّ .. انْزِلْ عَنْ حِصَانِكَ ! وَاقْتَرِبِي مِنِّي ،  
حَتَّى أَسْمَعَ مَاذَا تَقُولُ ..





فَنَزَلَ تَعْلُوبٌ عَنْ حِصَانِهِ عَلَى مَضْنَضٍ ، وَاقْتَرَبَ مِنْ أُذُنِ  
الْعَجُوزِ قَائِلًا بِصَوْتٍ مُرْتَفِعٍ :  
- أَقُولُ لَكَ ، أَلَمْ يَمُرَّ عَلَيْكَ ....  
وَقَبْلَ أَنْ يَتِمَّ تَعْلُوبُ عِبَارَتَهُ ، جَذَبَتْهُ الْعَجُوزُ بِقُوَّةٍ ، وَأَلْقَتْ  
بِهِ عَلَى الْأَرْضِ ، ثُمَّ أَلْقَتْ عَلَى وَجْهِهِ بَغِطَاءَ رَأْسِهَا .



وَقَبْلَ أَنْ يَفِيقَ تَغْلُوبُ مِنْ ذُهُولِهِ ، أَوْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ مَا حَدَثَ لَهُ ،  
سَمِعَ قَهَقَّاهَاتِ أَرْتُوبِ عَالِيَةً ، وَسَمِعَ وَقَعَ حَوَافِرِ حِصَانِهِ ، وَهِيَ  
تَغُوصُ فِي مِيَاهِ النَّهْرِ ، وَتَرُشُ الْمِيَاءَ عَلَيْهِ ، فَصَرَخَ طَالِبًا  
النُّجْدَةَ ..

وَفِي هَذِهِ اللَّحْظَةِ كَانَ أَرْتُوبُ يَغْبِرُ النَّهْرَ عَلَى ظَهْرِ جَوَادِ  
تَغْلُوبِ وَهُوَ يَضْحَكُ سَاخِرًا مِنْهُ ..





وما إن رفع تغلوبُ الغطاءَ عن وجهه ؛ ليتبينَ حقيقةَ ما حدث ،  
حتى رأى أرنوبا يقفُ على الضِّفَّةِ الأخرى مِنَ النُّهرِ ، مُمْتَطِيًا  
ظَهْرَ حِصَانِهِ ، فَأَدْرَكَ تغلوبُ أنَّ أرنوبا قد خدَعَهُ واحْتَالَ عَلَيْهِ ،  
وَأَنَّ هَذِهِ الْعَجُوزَ الَّتِي سَأَلَهَا كَانَتْ هِيَ نَفْسُهَا أَرْنُوبًا ..  
وَقَالَ أَرْنُوبٌ وَهُوَ مُسْتَمِرٌّ فِي الضَّحْكِ :  
- هَانَذَا قَدْ هَرَمْتَكَ أَيُّهَا الْبَطْلُ الْمَغْرُورُ ، فَهَلْ تُقَرُّ بِانْتِصَارِي

عَلَيْكَ ؟





نَكْسَ تَعْلُوبُ رَأْسَهُ فِي خَجَلٍ ، شَاعِرًا بِالْهَزِيمَةِ ، وَقَالَ :

- نَعَمْ .. فَلْتَعِدْ إِلَى حِصَانِي ..

فَقَالَ أَرْنُوب :

- لَنْ أَعِيدَ إِلَيْكَ حِصَانَكَ ، قَبْلَ أَنْ تَكْفَ عَنْ ظُلْمِكَ وَطُغْيَانِكَ ،

وَتَكْفَ عَنْ إِرْهَابِ الْجَمِيعِ ، وَإِذْلَالِهِمْ ..

فَقَالَ تَعْلُوب :

- لَقَدْ كَفَفْتُ عَنْ ذَلِكَ كُلِّهِ مُنْذُ الْآنَ ..





فاستمرَّ أرْنُوبُ في الضَّحْكِ ، وقالَ لهُ :

- أنا لَسْتُ في حاجةٍ إلى حِصَانِكَ .. إذا كُنْتُ تُريدُهُ ، فهيا اغْبِرِ  
النَّهْرَ سِياحَةً لَتَأْخُذَهُ ..

وبدأَ تغْلُوبُ في خَلْعِ حِذَائِهِ ، ومِغْطَفِهِ الثَّمِينِ ، ثمَّ وَضَعَهُمَا  
على شاطئِ النَّهْرِ ، وأَلْقَى بِنَفْسِهِ في المِياهِ سَابِحًا إلى الصُّفَّةِ  
الأُخْرَى ..

وتَعَرَّضَ خِلالَ ذلكَ لِلسَّعَاتِ المِياهِ البَارِدَةِ ، لكنَّهُ تَحَمَّلَ في  
صَبْرٍ وَجَلَدٍ ..





وما إن وصلَ تغلوب إلى الضفَّة الأخرى ، وأصبحَ على  
الشَّاطئ ، حتَّى ألْهَبَ أَرْنُوبُ ظَهْرَ الحِصَانِ بِسَوْطِهِ ، خَائِضًا  
به المِياه ، فعَبَرَ النُّهْرَ فِي لَحْظَاتٍ إِلَى الضَّفَّةِ الْأُولَى ، الَّتِي تَرَكَ  
عِنْدَهَا تَغْلُوبٌ مَلَابِسَهُ ..

ثم جَمَعَ مَلَابِسَ تَغْلُوبِ وَحِذَاءَهُ عَلَى مَهْلٍ وَرَبَطَهَا فِي صُرَّةٍ ، ثُمَّ  
وَدَّعَ تَغْلُوبًا سَاخِرًا مِنْهُ بِقَوْلِهِ :

- إِلَى اللَّقَاءِ يَا بَظْلُ ..





واخْتَفَى ارْتَوِبُ بِحِصَانِ تَغْلُوبٍ وَمَلَابِسِهِ فِي لَفْجِ  
الْبَصَرِ، وَاضْطَرَّ تَغْلُوبٌ إِلَى الْبَقَاءِ فَثَرَّةً طَوِيلَةً عَلَى النَّهْرِ،  
مُنْتَظِرًا ظُهُورَ أَحَدِ مَعَارِفِهِ؛ لِيَأْتِيَ لَهُ بِمَلَابِسِهِ وَحِذَائِهِ، لَكِنْ  
لِسُوءِ حَظِّهِ لَمْ يَمُرَّ أَحَدٌ عَلَى شَاطِئِ النَّهْرِ، حَتَّى الظُّهَيْرَةِ، فَلَمَّا  
حَمَيْتِ الشَّمْسُ، اضْطَرَّ إِلَى السَّيْرِ حَافِيًا عَلَى الْأَشْوَكَ وَالتُّرْبَةِ  
الْمُلْتَهَبَةِ...





أما أرنب فإنه عندما اقترب من القرية ، علق ملايس تغلوب  
وحذاءه في رقبة الحصان ، وأطلق سراحه ، فأتخذ الحصان  
طريقه إلى منزل تغلوب عبر شوارع القرية ، ودروبها فكان كل من  
يراه يظن أن تغلباً قد هلك وأن الجميع قد استراحوا من طغيانه  
وظلمه إلى الأبد ..





وَعِنْدَ الْغُرُوبِ عَادَ تَعْلُوبُ إِلَى الْقَرْيَةِ حَافِيًا عَارِيًا ،  
وَقَدْ تَسَلَّخَتْ قَدَمَاهُ مِنَ الشَّيْثِرِ ، وَأُصِيبَ رَأْسُهُ  
بِضَرْبَةِ شَمْسٍ ، وَصَارَ كُلُّ مَنْ يَرَاهُ يَسْخَرُ مِنْهُ ، حَتَّى  
صَارَ عِبْرَةً لِمَنْ تَسْوَلُ لَهُ نَفْسُهُ أَنْ يَسْئَلَ سَلُوكَهُ فِي  
الظُّلَمِ وَالْجَبَرُوتِ ..





وقد تغيّر سلوكُ تغلوب بالفعل إلى الأحسن ، لكن ظلت هناك لحظات كان يعودُ فيها إلى الظلم والجبروت ، لكن أهل القرية كانوا يذكرونه بما حدث له على يدَي أرنوب ، فكان يثوبُ إلى رُشدِهِ ، ويكبتُ الرغبةَ في البطشِ بداخله .. فهل سيستمرُّ على ذلك طويلاً ، أم أنه سوف يعودُ إلى طبيعته المتتمرة ..

( تمت )

